

## الفصل الثانى

### رينيه ديكارت (التفكير العقلى)

- ١ - حياته
- ٢ - كتبه
- ٣ - فلسفته وأفكاره
- ٤ - منطق ديكارت ومنهجه
- ٥ - الشك والعودة إلى اليقين
- ٦ - النفس والجسم (ثنائية الوجود)
- ٧ - قيمة العقل عند ديكارت
- ٨ - ملاحظات نقدية على آراء وفكر ديكارت

## رينيه ديكارت Rene Descartes

(١٥٩٦ - ١٦٥٠م)

### ١ - حياته:

فى ٣١ مارس ١٥٩٦م ولد ديكارت فى (لاهاى) احدى القرى الرئيسية بمقاطعة (تورين) بفرنسا وهو ينتسب إلى أسرة من طبقة الأشراف حيث كان والده عضوا ثريا فى البرلمان الفرنسى. ومن سوء حظه أن ماتت أمه ولم يكن قد جاوز عامه الأول. وقد ماتت أمه بمرض السل، فورث عنها ضعفا وسعالا لازماه حتى سن العشرين. ولكن والده أسند أمر تربيته ورعايته إلى مربية أخذت تدلّه حتى جعلت منه حبيبا رقيقا.

فى سن الثامنة الحقه والده بمدرسة لافليش La Fleche اليسوعية والتي كانت تعتبر من أهم وأشهر المدارس الأوروبية فى ذلك الوقت وقد تلقى العلم والمعرفة فيها على ايدى مدرسين مشهود لهم بالكفاءة. وقد عاملوه معاملة طيبة وكريمة تقديرا لظروفه وحالته الصحية الضعيفة، وتقديرا أيضا لمواهبه العقلية وذكائه. ولذلك كانوا يتركونه فى فراشه إلى ساعة متأخرة فى الصباح يتلقى الدرس فى الوقت الذى يتلقى باقى الطلبة دروسهم فى حجرات الدراسة. ونتيجة لذلك، كان من المتفوقين وأوائل فصله. وقد درس ديكارت فى هذه المدرسة كل المواد الضرورية لتكوين رجل مثقف.. فدرس اللغات القديمة، والأدب شعرا ونثرا، ودرس التاريخ والجغرافيا، والفلك والرياضيات، والطب والتشريح،

والفلسفة واللاهوت. درس ذلك كله ولم يناهز العشرين من عمره. ولكنه يقول إنه لم يطمئن إلا إلى الرياضيات من بين كل ما درسه. فهي العلم الجدير بالعناية والتقدير، ويرجع ذلك إلى ما فى براهينها من اليقين والوضوح. وإلى جانب الرياضيات هناك السمعيات والأمور المنزلة من عند الله، فهي أيضا تعطينا اليقين، ولو أنه يقين من نوع آخر.

ولما رأى ديكرات أن هذه المواد التى درسها ناقصة لا تشبع نهمه للمعرفة اليقينية. اجتهد فى طلب علم جديد يكتشفه هو بنفسه ويهتدى إليه فى سفر الكون العظيم الملى بالآيات. ومن هنا قام بعدة رحلات مترددا على قصور الملوك والأمراء، وانخرط فى سلك الجيوش وخاض بعض المعارك الحربية، وخالط الناس.. وذلك من أجل أن يرتشف التجربة النافعة من منبعها، ويستطيع أن يميز بين الخطأ والصواب، وينفذ إلى صميم الحقيقة ببحثه الشخصى وجهده الذاتى. ولذلك قضى شطرا كبيرا من حياته راحلا متنقلا. التحق بجيش «موريس دى ناسو» من كبار القادة العسكريين فى هولندا فى ذلك الوقت. ثم ترك هولندا راحلا إلى ألمانيا، ثم إلى إيطاليا وسويسرا. وكان فى خلال ذلك يعود إلى فرنسا فى زيارة قصيرة لأمر شخص أو طلب علمى. وظل على هذه الحال مدة عشر سنوات قضاها فى اضطراب عقلى وقلق نفسى لا يستقر فى مدينة إلا ويرحل عنها إلى أخرى وهكذا.

ولما جاوز الثلاثين من عمره بعد هذه الحياة المطربة والرحيل المستمر واحساسه بأنه قد أتم تثقيف نفسه وخلص فكره من الأخطاء الشائعة ونضجت آراءه وأفكاره، واكتملت خبرته وتجاربه، رأى أن يستقر

فذهب إلى هولندا طالبا الهدوء والسكون من أجل البحث والدراسة والتأمل العميق. وفي هولندا قضى نحو عشرين عاما لم يتركها إلا قليلا فى زيارات خاطفة إلى فرنسا وفى هذه الفترة تمكن ديكارت من تدوين معظم مؤلفاته وكتبه وارسى دعائم فلسفته الجديدة.

فى عام ١٦٤٩م طلبت منه «كريستينا» ملكة السويد أن يحضر إليها لكى تتلمذ على يديه وتأخذ عنه العلم والمعرفة حيث كانت شغوفة بالدراسة والفلسفة ولكنه لم يهتم بذلك، ولكن مع الحاحها عليه، سافر إلى السويد. ولكن نظرا لانشغالها طوال اليوم فى العمل فقد طلبت منه الملكة ان يكون الدرس فى الساعة الخامسة صباحا. إلا أن الجو فى السويد كان باردا شديدا قارسا لم يتحملة جسم ديكارت الضعيف وصحته العلية، وما هى إلا أيام حتى عاجله برد شديد تحول إلى سل أودى به فمات فى ١١ فبراير ١٦٥٠م.

تلك هى حياة ديكارت التى استغرقت حوالى ٥٥ عاما، وما يلفت النظر فيها حادثة مشهورة وقعت له، كانت بمثابة النور الذى ايقظه وهدهداه إلى الطريق السليم والحل الأمثل فى تجديد الفلسفة. وتعرف هذه الحادثة بأسم «حادثة المدفأة» حيث كان فى ألمانيا فى بداية شتاء عام ١٦١٩م ونزل فى غرفة دافئة بمنطقة نائية لا يوجد فيها أنيس أو صديق.. وقد قضى نهاره متأملا مفكرا فى المعرفة الانسانية وتكوينها، والعقل وتصوره وتمنى لو وجد الانسان السبيل إلى تحصيل المعرفة كلها عن طريق العقل. ولما جاء الليل وذهب إلى فراشه للنوم، عاودته هذه الأفكار أو الأحلام فى منامه. ورأى كأن هاتفا يدعوه إلى السير فى طريقه

ووضع دعائم العلم والفلسفة الجديدة. وسواء أكانت هذه القصة صحيحة أم لا، فإن مغزاها يتمثل في أن ديكارت كان يعيش في قلق نفسى ويمر بأزمة عقلية وروحية خالصة سواء فى يقظته أم حتى فى نومه. ومنذ تلك اللية الموعودة توصل ديكارت إلى الحل الأخيلر والوسيلة الناجحة، وهى اختراع منهج رياضى عام يطبق على سائر العلوم المختلفة، أعد نفسه لتحقيقه وبلوغ غايته.

ومن الجدير بالذكر أن ديكارت كان دائما يعرض ما يكتبه قبل نشره على زملائه وأصدقائه من العلماء ورجال الدين حتى يطمئن مقدا. وكان ينشر انتقادات النقاد ورده عليهم فى مؤلفاته.

ومن الملاحظ أيضا أنه لم يكتب فى السياسة أو يشتغل بها تجنبيا للقليل والقال وابتعادا عما يعكر صفو حياته الهادئة.

## ٢ - كتبه:

كانت جهود ديكارت مركزة تقريبا على الفلسفة، ولذلك فانه لم يستوف أو يلم بكل أطراف الفلسفة. ومن الغريب أنه كان يخفى الكثير مما يكتب خوفا من سلطان رجال الكنيسة بعد أن رأى وسمع ما حدث لجاليليو حيث كان له رأى مشابه لرأى جاليليو فى دوران الأرض وقد دفعه هذا الخوف أيضا إلى عرض ما يكتبه أولا على أصدقائه لكي يقولوا رأيهم فيه قبل نشره وأهم كتبه هى:

## أ - مقال فى المنهج:

أذاعه عام ١٦٣٧م وكان له اسم آخر طويل إلا إنه استبدله بهذا الأسم. وفى هذا الكتاب جزء يحوى «اعترافات ديكارت» حيث يشرح

فيه تاريخ حياته الروحية وما مر به من أزمت. وهو فى ذلك يشبه «روسو والغزالي» وفى جزء آخر من الكتاب يوضح قواعد المنهج عنده، كما يتحدث عن الأخلاق ويعرض المشكلة الميتافيزيقية المهمة التى تعرض لها وهى مشكلة «أنا أفكر إذن فأنا موجود» كذلك يعرض لبعض تجاربه العلمية.

### ب- تأملات فى الفلسفة الأولى:

نشره باللاتينية عام ١٦٤١م، ثم ترجمه الدوق «دى لويين» إلى الفرنسية بعد ذلك. وفى هذا الكتاب يهتم ديكرت بالبرهنة على وجود الله ووجود النفس. وهذا الكتاب عرضه على بعض الفلاسفة واللاهوتيين قبل نشره ليستطلع رأيهم فيه، وقد نشر ملاحظاتهم عليه وردوده عليهم حتى يحظى بالقبول من رجال الدين بصفة خاصة.

### ج- مبادئ الفلسفة:

نشره باللاتينية عام ١٦٤٤م، ثم ترجم بعد ذلك إلى الفرنسية. وقد أراد من رجال السوربون أن يقرروا هذا الكتاب على الطلاب فى الجامعة حتى يحل محل أرسطو فى الفلسفة، ولكنهم لم يحققوا له هذه الرغبة. وقد تكلم فى هذا الكتاب عن نظرياته الطبيعية وفى الترجمة الفرنسية التى ظهرت عام ١٦٤٧م أرفق بها اهداء إلى الأميرة اليزابيث، ورسالة إلى المترجم عرض فيها فلسفته عرضا عاما وبين وجه الاختلاف بين فلسفته والفلسفة القديمة.

### د - رسالة فى انفعالات النفس:

وهو آخر ما نشره فى حياته وكان ذلك عام ١٦٤٩م. وهو كتاب فى الأخلاق كتب فيه رسائل إلى الأميرة اليزابيث ابنة «فردريك» ملك بوهيميا، المخلوع عن عرشه واللاجئ إلى هولندا، يوضح فيها رأيه فى المشكلة الأخلاقية التى كانت تشغل تفكيره منذ أن كتب كتابه الأول. وهناك كتاب ألفه فى بداية تفرغه للكتابة تحت عنوان العالم عام ١٦٣٣م وقد ضمنه بعض الآراء التى اتفق فيها مع آراء جاليليو وكامبانيلا حول دوران الأرض وبعض ظواهر الكون الأخرى ولكنه خاف على نفسه من بطش رجال الكنيسة به كما حدث مع جاليليو وقد نشر هذا الكتاب بعد وفاته بنحو سبعة وعشرين عاما أى فى عام ١٦٧٧م. ونجد ملخصا لهذا الكتاب فى القسم الخامس من كتابه الأول بعنوان مقال فى المنهج. تلك هى مؤلفات ديكارت، ومما لا شك فيه أنها أحدثت ثورة وقف صدورها ورسمت للباحثين خطة الفلسفة الجديدة المنشودة. ويعتبر الكتاب الأول مقال فى المنهج أهم كتبه وأشهرها وقد ترجم إلى اللغات الأوربية الأخرى، كما ترجم إلى العربية أيضا. أما كتاب التأملات فهو فى نظر بعض النقاد أهم كتبه بسبب غزارة مادته وعمق أفكاره.

### ٣ - فلسفته:

أراد ديكارت أن يجعل فلسفته جديدة تماما، ومن أجل ذلك ثار على الفلسفة القديمة التى استولت على عقول الناس، وعارض أرسطو وفلسفته التى أصبحت لا تلائم العلم الحديث فى أى جانب من

جوانبها، ولا ترضى العقل ولا تتفق مع الدين. ومن الجدير بالملاحظة أن ثورة ديكالرت الفلسفية صدرت عن الرياضيات واعتمدت عليها في كل مراحلها وتأثرت بها في مختلف نواحيها، والفلسفة عنده هي العلم الكلى وهو يقول في تقسيمها:

«إن قسمها الأول الميتافيزيقا، وهي تشتمل على مبادئ المعرفة التي فيها تفسير أهم صفات الله وروحانية نفوسنا وجميع المعانى الواضحة المتميزة الموجودة فينا. والقسم الثانى العلم الطبيعى، وفيه بعد أن نكون قد وجدنا المبادئ الحققة للماديات، نفحص عن تركيب العالم على العموم، ثم على الخصوص عن طبيعة هذه الأرض وجميع الأجسام.. وبالأخص عن طبيعة الإنسان، حتى يتسنى لنا استكشاف سائر العلوم النافعة له.

وعلى ذلك فالفلسفة كلها بمثابة شجرة، جذورها الميتافيزيقا، وجزعاها العلم الطبيعى، وأغصانها باقى العلوم، وهذه ترجع إلى ثلاثة كبرى، أعنى الطب والميكانيكا والأخلاق، أى أعلى وأكمل الأخلاق التي تفترض معرفة تامة بالعلوم الأخرى، والتي هي آخر درجات الحكمة.. «من كتاب مبادئ الفلسفة».

هذه الفلسفة الجديدة التي اعتمدت العقل أساسا ومصدرا لكل معرفة هي التي أستحق أن يلقب ديكارتر بسببها «أبو الفلسفة الحديثة» وسوف نعرض لبعض فلسفته على النحو التالى:

#### ٤- منطق ديكارت ومنهجه:

كان ديكارت شغوفاً بالرياضيات وقد ساعده ذلك على اكتشافه لعلم «الهندسة التحليلية» ويقوم منطقته ومنهجه على مجموعة من القواعد هي باختصار:

#### أ- البرهنة الرياضية والأستدلال القياسى:

يعتقد ديكارت أن هذه القاعدة تصلح لقيادة الفكر الأنسانى نحو الحقيقة حيث إن البرهنة الرياضية تتضمن ميزاتين هما: النظام، وارتباط الأفكار بعضها ببعض، حتى نصل من المقدمات إلى الحقيقة.

#### ب- الحدس والقياس:

هما طريق المعلومات الثابتة وأساس البرهنة السليمة والحدس عند ديكارت هو النور الإلهياً والغريزة العقلية أو الإلهام الذى يوصلنا مباشرة إلى الحقيقة. أما القيلس فهو اثبات قضية ما بواسطة مبادئ عامة تصدق عليها. وهو يعتبر أن القياس عنده غير القياس الذى كان عند أرسطو حيث إن القياس عنده يعتمد على الحدس أو الألهام الذى يؤدي إلى قضايا يقينية صادقة.

#### ج- قواعد المنهج الأربعة:

أخذ ديكارت على عاتقه أن يحدد للباحثين قواعد المنهج التى تؤدي فى النهاية إلى إدراك الحقيقة. وهذه القواعد الأربعة باختصار هي:

١ - قاعدة الوضوح والبدهة.

٢ - قاعدة التحليل أى تحليل الظاهرة إلى عناصرها الأولية.

٣ - قاعدة التركيب أى إعادة الأفكار أو العناصر الأولية إلى حقيقة كاملة.

٤ - قاعدة التثبيت والتأكد من صدق النتيجة التى توصلت إليها.

تلك هى قواعد المنهج عند ديكرت وهى تقوم على وضوح الفكرة ثم تحليل الفكرة، ثم إعادة تركيبها منطقيا، والتثبيت والتحقق من صدق النتيجة التى تم التوصل إليها.

وقد انتقد العلماء ديكرت فى قاعدة الوضوح باعتبارها مقياسا للحقيقة، حيث اعتبروا الوضوح أمر نسبيا متغيرا، من شخص إلى آخر، بل من بيئة لأخرى وبهذا لا يمكن الاعتماد عليه باعتباره مقياسا للحقيقة. وإلا كانت الحقيقة نسبية متغيرة.

#### ٥ - الشك والعودة إلى اليقين:

الميتافيزيقا أو علم ما وراء الطبيعة هى علم الوجود فى مختلف نواحيه. حيث لا فرق فى ذلك بين وجود الله، ووجود النفس، ووجود العالم الخارجى ولكن هذه الأنواع من الوجود قد يصيبها أخطاء عديدة، أو يشوبها أوهام كثيرة، فعقلنا مثلا مشحون باحكام تعودنا عليها من عهد الطفولة أو تلقينها من المعلمين قبل أن يتم النضج والرشد. كذلك العلوم نجد أنها قد تكونت ونمت تدريجيا بتأثير أناس مختلفين، حتى إنها تبدو كما لو كانت كالثوب الملقق أو البناء المرمم.

وعلى ذلك.. فإذا أردنا أن نصل إلى يقين ثابت، علينا أن نرفض ما تعودنا عليه من أفكار وآراء، ونطرح كل ما دخل عقلنا من معارف. ونشك فى كل طرق العلم وأساليبه. اننا مضطرون لأن نشك فى كل

شئ، ذلك لأن الحس يخدعنا، والحقائق التي تؤمن بها معرضة لتأثير المخيلة والوهم.. بل أكثر من ذلك.. نحن نخطئ في البرهنة والأستدلال. وما يكون عرضة للخطأ يزول عنه كل يقين.

ويرى ديكارت أنه ربما كان هناك روح خبيث قدير، أو شيطان مكر يبذل كل ما فى وسعه فى خداعى، فيصور لى الحق باطلا، والباطل حقا لدرجة أننى قد أخطأ حتى فى أبسط الأمور وأوضحها، مثل أن أضلاع المربع أربعة، أو اثنين وثلاثة يساوى خمسة يرى ديكارت أنه فى حاجة إلى رفض كل ما اكتسبه من آراء وإلغاء كل ما اعتنق من أفكار، ثم يعرض ذلك كله على بساط البحث، ويختبره بمخبار «الشك»، ويضعه تحت تصرف العقل وحكمه.

ويشبهه ديكارت هذا الموقف بسلة مملوءة بالتفاح فيه الجيد، وفيه الفاسد، وما عليه الا ان يفرغ السلة كلها ثم يختار التفاح الجيد واحدة بعد أخرى ويضعه فى السلة، حتى يصبح كل ما فى السلة تفاحا جيدا. وفى هذا الموقف نجد أن الشك هنا مقياس الحقيقة، ووسيلة فحص الأفكار. كما أن هذا الشك لا يكون مفيدا ونافعا إلا إذا كان صادرا عن: إرادة حرة تامة وحازمة.

ونستطيع القول هنا.. إنه إذا كان الشك الديكارتي هو أول خطوة فى فلسفته، أمكننا أن نقرر أن هذه الفلسفة.. تبدأ بفعل حر.. ذلك لأن الحرية عنده شرط ضرورى.. للتفكير الكامل والنقد الصحيح.

وهكذا نجد أن النقد فى تقييمهم للشك الديكارتي.. يعتبرونه منهجا عقليا، ومجهودا منظما هدفه التمييز بين ما هو خطأ وما هو صواب،

وإحلال هدوء اليقين محل الحيرة، كما إنه وسيلة من وسائل تطهير العقل وتصفيته.

ويرى ديكارت أنه مهما كان الشك فى وجود العالم وفى وجود الله فإن هناك حقيقة واحدة وهى أنه هناك ذاتا أو نفسا تشك، ولما كان هذا الشك نوعا من التفكير فإننى لا أستطيع أن أفكر أو أشك فى أننى أفكر. ومن البدهى أننى لو لم أكن موجودا لما شككت وفكرت. فما دمت أفكر فأنا موجود.

وهكذا وضع ديكارت قاعدته المشهورة: «أنا أفكر فإذا أنا موجود» وهى التى أطلق عليها اصطلاح (الكوجيتوه cogito) ومن هذه القاعدة استطاع ديكارت أن يثبت وجود العالم الخارجى وكذلك وجود الله بالأدلة العقلية.

## ٦ - النفس والجسم (ثنائية الوجود):

يرى ديكارت أن ما تراه فى هذا العالم يرجع إلى عنصرين.. إما مادية أهم صفاته أنه يشغل حيزا فى المكان. وإما عنصر عقلى وأهم صفاته الشعور والإدراك. وعلى ذلك فالعالم مكون من عنصرين أساسيين هما: المادة والعقل «الجسم والنفس أو الروح» المادة وصفتها التى تميزها هى «الامتداد» فى المكان. والروح وصفتها التى تميزها هى الفكر. ويرى ديكارت أن الأجسام لا يمكن أن تتصف بالتفكير، وفى نفس الوقت لا يمكن للعقل أن يتصف بالامتداد وهكذا قسم ديكارت الوجود إلى قسمين لا وحدة بينهما: المادة والعقل.

ومن هذا المنطلق يرى ديكارت أن الإنسان مكون من جسم وعقل أو من جسم وروح لا وحدة بينهما: وأن هذه الثنائية تؤدي إلى القوة المفكرة «العقل أو النفس» لا دخل لها في الحركات الجسمية وأن الجسم لا يتدخل في الإدراك الذهني.

وقد رأى العلماء والباحثون أن هذه الثنائية تشكل عائقا في أداء الفرد لوظائفه المتكاملة. وقد حل ديكارت هذه المشكلة بقوله.. إن الجسم لا يستغنى عن الروح، والروح لا تستغن عن الجسم، وأن الله قد خلقهما وفيهما «استعداد» لأن يؤثر ويتأثر كل منهما بالآخر. وقد فسر ديكارت ذلك بأن الجسم يؤثر في النفس عن طريق الأحساس والعاطفة، وأن النفس تؤثر في الجسم عن طريق الإرادة.

وقد رأى ديكارت أن الوسيلة التي تساعد على توصيل هذا التأثير من النفس إلى الجسم والعكس بقوله.. إن الغدة الصنوبرية هي وسيلة التأثير بين النفس والجسم، وذلك لأنها في مكان وسط الدماغ. وهذا الحل. كما يرى أهل التراجيديا اليونان، هو اقحام للألهة في المواقف الحرجة التي لا يجدون لها حلا أو مخرجا.

إن ثنائية ديكارت قد نجحت في التفرقة بين الجسم والنفس، ولكنها فشلت في الربط بينهما، حتى الغدة الصنوبرية التي لجأ إليها ديكارت لحل المشكلة لا تستطيع حلها حلا واضحا.

وهكذا نرى أن فلسفة ديكارت تتطلب الإرادة في كل مرحلة من مراحلها. فهذه الفلسفة اعتمدت على الشك، وهو فعل إرادى واضح وهي في النهاية تقرر أن الخير أثر من آثار الإرادة القائمة على التفكير الصحيح.

## ٧ - قيمة العقل عند ديكارت:

يطلق ديكارت على مبحث العقل من فلسفته اسم: «الميتافيزيقا» التي تعتمد في بحثها على الفكر المحض الخالص. ولذلك فهو علم تجريدي وهذا عكس «الفيزيقا» التي يدخل فيها الخيال لكي يوضحها وكذلك كانت «الميتافيزيقا» أكثر دقة و يقينا من «الفيزيقا».

والصفة التي تميز العقل هي الفكر، وعمله الذي يقوم به هو التفكير، وهذا التفكير يفسره ديكارت بأنه نوع من الشعور أو الوعي يلزم العقل، مثل ملازمة الإضاءة للضوء، وملازمة الحرارة للسخونة.

ومن هذا الربط بين التفكير والعقل، يبين ديكارت ماهية العقل الإنساني، والعقل الإلهي. فديكارت يضمهما في مفهوم واحد مشترك وهو أن العقل عبارة عن سلسلة من الأفكار هي في الواقع طبيعة العقل وماهيته. أما الفرق بينهما فهو أن العقل الإنساني محدود ونهائي، أما العقل الإلهي فهو لا محدود ولا نهائي.

ويرى ديكارت أن دائرة العقل الإنساني تتسع لأكثر من الإدراك الواضح.. وعلى ذلك ينتج أمران هما:

أ - أن الأطفال يتمتعون وهم في بطون أمهاتهم بالعقل كنتيجة طبيعية لشعورهم بأنفسهم في تلك المراحل من مراحل تكوينهم.

ب - أن العقل أو الأفكار تنقسم حسب جهاتها المختلفة إلى ثلاث هي:

\* من ناحية الوضوح والغموض: أفكار تامة وأخرى ناقصة.

\* من ناحية المصدر: أفكار كونتها أنفسنا، وأفكار اكتسبتها أنفسنا

من الخارج، أفكار فطرية فينا.

\* من ناحية ما تدل عليه: أعمال ادراكية، وأعمال إرادية.  
ونلاحظ هنا أن الأعمال الإرادية تتوقف على الأعمال الإدراكية،  
بمعنى أن الإرادة لا تقوم بفعل أو عمل إلا بعد أن يمر العقل بمرحلة  
الأدراك. ومصدر الخطأ هنا يأتى من تدخل الإرادة فى عمليات  
الإدراك الصرفية.

فإذا استطاع الإنسان كبح جماح الإرادة وأجبرها على عدم التدخل  
فى عمليات الإدراك استطاع بذلك أن يجنب نفسه فى الوقوع فى الخطأ.  
وعلى العموم يجب على كل إنسان ألا يتعرض لإثبات شىء ما، إلا إذا  
كان هذا الشىء معروفا لديه على وجه من الوضوح والدقة بدرجة تحميه  
من الوقوع فى الخطأ.

إن العقل هبة من الله، وهو وسيلة أمرنا بها بعد أن زوده بالدقة فى  
أفعاله وبالصدق فى ما يقوله لنا من حقائق. والخطأ ليس من طبيعة العقل،  
وإنما هو أمر عارض له بسبب انحرافه أحيانا عن الطريق الصحيح.

#### ٨ - ملاحظات نقدية على آراء وفكر ديكارت:

أ - إن شك ديكارت هو شك مؤقت اقتصر فقط على النواحي المعرفية  
الخاصة بالعقل دون النواحي الأخلاقية أو الدينية التى تتصل  
بحياة الإنسان العملية اليومية.

ب - حصر ديكارت شكه فى ثلاث مجالات رئيسية تتعلق بكل من:  
الحواس، والشعور، والعقل. وذلك هو نفس النهج الذى اتبعه  
الغزالي فى شكه قبل ديكارت.

ج - لقد دعا ديكارت إلى التجربة من أجل الوصول إلى اليقين في العلم، ولكنه لم يستخدمها كثيرا في أبحاثه الطبيعية، أو حتى يضعها في شكل رياضى يعبر عنها بالأرقام.

د - إن اليقين «الكوجيتو» ليس كافيا للوصول إلى اليقين التام لأنه يقين مؤقت في اللحظة التى يفكر ويشك فيها ديكارت.

هـ - إن ديكارت يجعل معرفة النفس أسهل وأيسر من معرفة الجسم. فإذا كان الجسم غير موجود على الإطلاق فأن النفس «الروح» تكون موجودة بذاتها بدونها.

و - إن فكرة «الغدة الصنوبرية» التى قال إنها الرابط بين الجسم والنفس، هى فكرة خيالية تعود بنا إلى فكرة الغائية فى الفلسفات القديمة.

ز - إن فكرة الأرادة عنده انتهت به إلى فكرة الخير فى نظريته الأخلاقية.

ح - حاول تلاميذه «أسبينوزا، ليبنتز، مال برانش» من العقليين سد النقص والعيوب فى أفكار ديكارت وخاصة فى مجال العقل وأقاموا فلسفات عقلية خاصة بهم.

